الدكتور عبد العظيم المطعني

الإسلام

في مواجهة الأيديولجيات المعاصرة

يطلب من : مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - تليفون ٩٣٧٤٧٠

مطبعة السعادة
ميدان أحمد ماهر - شارع الجداوى رقم ١٢
٩٠٧٢٧٩ - ١٢٩٧٠

الطبعة الأولى

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

جميع الحقوق محفوظة

إيضاح وتقديم

— ١ —

فى الثالث والعشرين من شهر سبتمبر ١٩٨٦ م أعلمنى الأستاذ الدكتور سيد تقى الدين وكيل كلية اللغة العربية أنه تقرر أن أشترك مع الدكتور مرعى مدكور مدرس الصحافة والإعلام بالكلية فى تدريس مادة « موقف الإسلام من الأيديولجيات المعاصرة » لطلاب الصحافة والإعلام بالمرحلة النهائية « الليسانس » وكنت أميل إلى الاعتذار أولا ؛ لأنى لم أشتغل بتدريس هذه المـــادة من قبل ، ولأنها بعيدة عن مجال التخصص الذى أعمل فيه (البلاغة والنقد) . وقوبل إعتذارى بالرفض من الأستاذ الدكتور سعد ظلام عميد الكلية ، فاستخرت الله وبدأت أعد للأمر عدته . وقد كان الدكتور مرعى مدكور ، وهو صديق وفى ـ كريما حين أتاح لى فرصة الاختيار بين أن أدرس إما الفلسفات والأيديولجيات الروحية الشرقية كالبهائية والقاديانية . أو الفلسفات والأيديولجيات الأوربية الغربية ؛ ويغلب عليها الجانب المادى ، كالعلمانية والماركسية ، ووجدتنى أميل ميلا شديداً إلى الجانب الثانى ، وهو الأيديولجيات المادية الغربية ، والتقت وجهات نظرنا حول هذا التوزيع وأخذ كل منا يعمل فى مجاله مستمداً العون من الله .

— ٢ —

وفيما يختص بالجانب الذى أنيط بى فقد هديت إلى أن يكون المنهج الذى أمارس من خلاله عملى على الوجه الآتى :

« التعرض لتاريخ أوربا منذ القرن الأول لميلاد السيد المسيح ـ عليه السلام ـ حتى نهاية القرن السابع عشر الذى انتقلت فيه أوربا من سيادة النصوص

الدينية كمصدر وحيد للمعرفة إلى الفلسفات المثالية العقلية خلال عصر التنوير القصير المدى (خمسون سنة تقريباً) .

* التعرض للفلسفات الوضعية المادية التى كان قيامها رد فعل عنيف على كل من الفكر الدينى الكنسى، والفكر العقلى المثالى . لأن الفلسفات الوضعية المادية اتهمت كلا من الفكر الكنسى والعقلى المثالى بالقصور فى مجال المعرفة وبالإفلاس فى مجال التوجيه .

* وقد تجمعت خيوط الفكر الوضعى فى اتجاه مادى واحد هو مايعرف الآن بـ « العلمانية » والعلمانية قد تكونت من عدة أيديولجيات مادية قديما برصدها كالداروينية ، والفرويدية ، والبراجماتية ، وحسية أوجست كونت وعقد جان جاك روسو ، ثم الميكيافيللية . كما خدعت العلمانية نفسها بالكشوف العلمية الصحيحة التى أساءت العلمانية فهمها ، وانحرفت بها عن مسارها مثل اكتشاف كوبرنيق لمركزية الشمس وبرونو ، وجاليليو ثم إسحق نيوتن مكتشف الجاذبية .

* ووقفنا طويلا أمام الماركسية باعتبارها الوريث لكل نهايات الفكر المادى . وناقشنا فى موضوعية وصدق الأساس الذى قامت عليه هذه الفلسفة .

هذا ، ولما كان المقصود من تدريس هذه الأيديولجيات لطلاب الصحافة والإعلام هو بيان موقف الإسلام منها فإن الطابع أو المنهج الذى سرنا عليه فى هذا الكتاب منهج يقوم على العرض والنقد والنقض فى لحمته وسداه . فليس ما فى هذا الكتاب تأريخا لهذه الأيديولجيات . وإنما هو دراسة كاشفة عما فيها من زيف وقصور وانحراف .

ومواجهة الإسلام للأيديولجيات المعاصرة من ألزم الواجبات التى ينبغى أن ينهض بها الدعاة . وأن يعدوا أنفسهم إعداداً كاملا للتصدى لها لأنها - وعلى ما بين بعضها من عداء - تجمع على محاربة الإسلام وعزله عن الحياة،

حتى عن حياة المسلمين أنفسهم . وهى كلها تسير فى كسب الإنتصار لها على أساس واحد لا يكاد يتخلف وإن لم يفصح عنه . ذلك الأساس هو :

الذى يعرف هو الذى يحكم ويقود ....

وسيرى قارىء هذا الكتاب أن أحق « الأيديولجيات » على الإطلاق بالحكم والقيادة للإنسانية جمعاء بناء على الأساس الذى وضعوه هو « الإسلام » والإسلام وحده . فقد استقى الإسلام المعرفة الصحيحة من جميع مصادرها الصحيحة :

من العقل ، ومن الحواس والتجربة والملاحظة ، ومن العلم بكل فروعه ومجالاته ، ومن الواقع . ثم عصم هذه المصادر بالوحى الأمين وغيره من الأيديولجيات إذا استقى معرفة من مصدر صحيح رفض كل المصادر التى عداها ، فخسر ولم يربح ، وبعضها كان قد استقى المعرفة من مصادر غير صحيحة فكان أسرع هذه الأيديولجيات فى التردى والسقوط .

وحقيقة الحقائق التى يصل إليها قارىء هذا الكتاب :

« إن الإسلام برىء من نقص أخذه على ما سواه . وإن ما سواه ليس فيه ما هو صحيح إلا وهو معتمد فى الإسلام . وإن الإسلام فى استقائه للمعرفة الصحيحة أعتمد على كل المصادر المعرفية الصحيحة . وسما فوق كل الفلسفات والايديوجيات ، لأنه من صنع الله . وماعداه من صنع البشر .

هذا وقد وقعت أخطاء فى أثناء الطبع لا تغيب على القارىء الفطن ولم نتمكن من تصويبها لضيق الوقت . وعذرنا أن إعداد هذا الكتاب (تأليفاً وطبعاً) تم فى مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر ليكون بأيدى الطلاب فى وقت مناسب . والحمد لله فى الأولى والآخرة .

د / عبد العظيم إبراهيم المطعنى

القاهرة : الظاهر فى الثلاثاء الموافق ٢٨ / ٤ / ١٤٠٧ هـ .

٣٠ / ١٢ / ١٩٨٦ م .

سيادة النصوص المقدسة
أو
سيطرة الكنيسة

عرفت أروبا المسيحية منذ القرن الأول للميلاد ، عرفتها وكانت المسيحية إذ ذاك محتفظة ، بصفائها ونقائها ، أو على الأقل كان صفاء المسيحية ونقاؤها ميسور آلمن يطلبه . لأنها كانت قريبة العهد بمبعث المسيح عليه السلام . ولم تضف إليها تلك ، التراكمات ، التي تنوء بها المسيحية الآن . والتي بدأت ـ أعني التراكمات ـ في الظهور من وقت مبكر على يد بولس الرسول المعروف بهذا الاسم في المصادر المسيحية ،(١) .

وطوال القرون الثلاثة الأولى من ميلاد السيد المسيح عليه السلام كانت مسيحية المسيح في محنة من جهتين .

الأولى : اضطهاد أعداء المسيحية للمسيحيين وإنزال أبشع ألوان العذاب بهم من قبل الرومان وغيرهم من اليهود .

الثانية : الأفكار التي روج لها بولس في حياته ، والتي بثها في الرسائل المعروفة باسمه والمعروفة في أواخر العهد الجديد ، الأناجيل ، ويسميها المسيحيون برسائل الرسل . ولبولس منها أربع عشرة رسالة كل رسالة تحمل

(١) بولس هذا ليس من أصحاب المسيح عليه السلام ، وهو كان يهوديا في البدء ومن ألد أعداء المسيحية ، ثم دخل فيها بحيلة بارعة وإن لم يخف زيفها على عاقل وأخذ يدعو إلى المسيحية في جد ونشاط ، وأدخل عليها ما ليس منها . وكان عمله هذا بمثابة طمس لمعالم المسيحية الصحيحة ، كما جاء بها عيسى عليه السلام .

اسما خاصا بها ، بيد أن المسيحية ، كانت قوية فى بدء الصراع ، ولها أنصار أوفياء صادقون ، وكثير منهم خروا شهداء فى سبيل التمسك بعقيدتهم الصحيحة ورفضهم لكل زيف أريد الحاقه بها .

ومسيحية بولس كانت تقوم على التثليث وتأليه المسيح عليه السلام ، الأمر الذى لم يقل به المسيح قط ، وقد أنكر مسيحية بولس كثير من المسيحيين طوال القرون الثلاثة الأولى ، وفى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع تصدى آريوس لأباطيل بولس وأذاع بين الناس أن المسيح ليس إلها وإنما هو مخلوق لله الواحد الأحد ، وكثر اتباع آريوس حتى عرفوا بـ « الآريوسيون » ، وتابع كثير من الكنائس رأى آريوس إلا كنيسة الإسكندرية فقد تشبت عقيدة بولس وحكمت على آريوس بالحرمان ، ولكنه ظل على رأيه ولم يذعن لقرار كنيسة الإسكندرية التى آل أمرها إلى البطريرك إسكندر وكان شديد التعصب لعقيدة بولس وهى التثليث والوهية عيسى عليه السلام . وما تولد عنها من عقائد .

قسطنطين وأول مجمع مسيحى فى التاريخ الكنسى

قسطنطين هو إمبراطور الرومان الذى شهد ذلك الصراع الخطير بين كل من آريوس نصير مسيحية المسيح والاسكندر بطريرك كنيسة الاسكندرية نصير مسيحية بولس ، وقد حاول قسطنطين وكان قد اعتنق المسيحية عن غير اقتناع كما يقول ديورانت فى كتابه « قصة الحضارة » حاول قسطنطين هذا أن يوفق بين الفريقين ولكنه لم ينجح . ثم دعا إلى عقد أول مجمع مسيحى فى التاريخ الكنسى ، وهو مجمع نيقية بالقرب من القسطنطينية عاصمة الدولة حينذاك ، وكان انعقاده عام ٣٢٥ م وبعد مناظرات جرت بين الفريقين تضافرت الجهود لانتصار عقيدة بولس على عقيدة آريوس وأتباعه رغم معارضة حادة حتى من رجال الدين المسيحى أنفسهم ، وانتهى المجمع الذى كان

يناصره السلطان « قسطنطين » بكل ما يملك إلى قيام خطير طمس معالم المسيحية التى جاء بها عيسى طمسا . وإليك نص القرار :

قرار مجمع نيقية :

« إن الجامعه المقدسة ، والكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه (؟!) وأنه لم يوجد قبل أن يولد ، وأنه وجد من لا شيء ، أو من يقول : أن الإبن وجد من مادة أو جوهر غير الله الآب ، وكل من يؤمن أنه خلق ـ بالبناء للمجهول ـ أو من يقول : انه قابل للتغيير ، ويعتريه ظل دوران » .

وبهذا القرار فرضت الكنيسة ـ ولأول مرة فى التاريخ ـ عقيدة بولس القاضية بالوهية عيسى عليه السلام . وهى عقيدة أصدرها من لا يملك لمن لا يستحق . فالبشر لا يملكون وصف أحد غير الله بأنه إله وعيسى لا يستحق أن يكون إله ؟!

ومما تجب الإشارة إليه أن مجمع نيقية ، كان عدد أعضائه من رجال الدين المسيحى ثمانية وأربعين وألفين من الأساقفة ، ولما عرض عليهم آريوس عقيدته القاضية بيشرية عيسى وكونه مخلوقا لله وأنه رسول الله وليس بإبن الله اقتنع أغلبية الحاضرين أو بالتحديد كان عدد الذين اقتنعوا برأى آريوس ١٧٣٠ عضواً مقابل ٣١٨ عضوا رضخوا لتوجيهات قسطنطين والاسكندر بابا كنيسة الاسكندرية حينذاك .

أى أن نسبة الرافضين لالوهية المسيح قد بلغت ٨٤٫٤٧ ٪ تقريباً وأن نسبة القائلين بالوهينة قد وقفت عند حد ١٥٫٥٣ ٪ تقريباً فإذا أضفنا إلى ذلك رغبة السلطان فى تقرير هذه العقيدة التى انتهى إليها الأعضاء الـ ٣١٨ فإن معنى هذا أن قرار هذه القله ، قرار مشوب دعت إليه الرهبة من السلطان

فهو إذن قرار باطل بكل مقياس ! ! (٢)

صدى هذا القرار :

لم ترحب الدوائر المسيحية بقرار مجمع نيقية ، ووقعت معارضة عنيفة له من جانب الموحدين كالنسطوريين والآريوسيين وكثير من الكنائس ، وبالرغم من هذه المعارضات فإن القرار كتب له الذيوع والانتشار وساندته القوة ففرض على الناس فرضا كريها . وأخذت المجامع تتوالى بعد مجمع نيقية وتتخذ من القرارات المشابهة لذلك القرار الخطير محيية لمسيحية بولس بكل صورة من صورها . وكانت حصيلة ، هذا كله تتلخص فيما يأتى :

* القول بألوهية المسيح عليه السلام وكونه ابنا لله .. ؟ !

* القول بألوهية الروح القدس ؟ !

* القول بالثالوث المقدس : الآب ـ الابن ـ الروح القدس ؟ !

* القول بالخطيئة ، الموروثة ، وأن بنى آدم مآخذون بعصيان أبيهم آدم حيث أكل من الشجرة المحرمة ، شجرة المعرفة ، ؟!

* القول بعقيدة الخلاص عن طريق القرابين ووساطة الكهان بين العبد وربه .

* الجزم بصلب المسيح وأن الصلب كان فيه فداء وخلاص لبنى آدم من الخطيئة الموروثة ؟ !

* القول بأن للمسيح طبيعة واحدة لاهوتية أو طبيعتين إحداهما ناسوتية (نسبة إلى الناس) باعتبار الجسد والأخرى لاهوتية (نسبة إلى الألوهية) باعتبار الروح أو الحقيقة ؟ !

---

(٢) وراجع فى هذا القرار إيضاحا أكثر فى محاضرات فى النصرانية للامام أبى زهرة (١٢٥) وما بعدها .

هـذا هو «كرنفال» العقيدة التى أسفرت عنهـا المجامع بدءاً من مجمع نيقية . ولم تـكتف تلك المجامع بما تقدم . بل أخذت تضيف وتضيف مامن شأنه أن يعلى من شأن الـكنيسة ، ويقوى من سيطرتها على مقاليد الأمور . فأضافت عقيدة أن البابا معصوم ، وأنه وحده له حق تفسير التعاليم وفى مجمع لا تيران عام ١٢١٥ صـــدر قرار كنسى خطير بأن الـكنيسة لها ثلاثة حقوق هى :

١ — حق الحرمان : ان الـكنيسة تملك حق الحرمان من الرحمة لـكل من يخرج على تعاليم الـكنيسة أو يرى غـير ما ترى من عقائد وتفسيرات ، وقد مارست الـكنيسة حق الحرمان على شكلين :

* شكل فردى حيث كانت تصـدر أحكاما عقابية رادعة على الأفراد المهرطقين الخارجين عن سلطانها إما بالاعدام أو اللعنة والطرد من ملـكوت السموات . مثلما حدث مع بعض العلماء كجاليليو ونيوتن وسيأتى الحديث عنهما وعن غيرهما .

* شكل جماعى : حيث كانت الـكنيسة تعاقب الجماعات بل والشعوب بما تراه من عقوبات كما حدث للشعب الانجليزى حين اختلف الملك يوحنا مع البابا فأصدر البابا قراراً بحرمان شعب انجلترا كله فعطلت الـكنائس وعقود الزواج والصلاة على الموتى وكان الموتى يحملون إلى قبورهم بغير صلاة وهكذا .

وفى هـذا الإطار أنشأت الـكنيسة محاكم التفتيش التى كان يحاكم فيها كل من تحوم حوله الشبهات ويؤخذ بالظنة فيعدم أو يحرق بلا رحمة ولا شفقة .

ـ ٢ حق الغفران : وبمقتضاه منحت الـكنيسة نفسها حق غفران الذنوب والخطايا مقابل مقدار من المال يبذل للـكنيسة من راغبى الغفران .

وكانت الكنيسة تعطى المغفور لهم صكا يسمى صك الغفران كمستند مادى على الكنيسة يتيح لحامله دخول الجنة . وكان الفقراء لكى يحصلوا على صكوك الغفران هذه يقومون بخدمة الكنيسة بدلا من بذل المال الذى عجزوا عنه لفقرهم . وهكذا أخذت الكنيسة تحكم قبضتها على الناس وتسيطر على مصائرهم الدنيوية والأخروية .

٣ — حق التحلة : وفيه منحت الكنيسة نفسها حق الخروج على النصوص المقدسة وتعاليم الرسل إذا رأت فى ذلك مصلحة لها .

نموذج من صلوك الغفران :

وفيما يلى صورة لصك من صكوك الغفران التى كانت تمنحها الكنيسة لطالبى المغفرة بعد بذل الثمن :

« ربنا يسوع المسيح رحمك يا فلان : ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية المقدسة ، وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لى أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التى استوجبتها وأيضا من جميع الأفراط والخطايا والذنوب التى ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة ، ومن كل علة وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا ، والكرسى الرسولى . وأمحو جميع أقذار الذنب وكل علامات الملامة التى ربما حملتها على نفسك فى هذه الفرصة . وأرفع القصاصات التى كنت تلتزم بمكابدتها فى المطهر ، وأردك جديثا إلى الشركة فى أسرار الكنيسة ، وأقرنك بشركة القديسين ، وأردك ثانية إلى الطهارة ... حتى إنه فى ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذى يدخل منه الخطأة إلى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذى يؤدى إلى فردوس الفرح ، وإن لم تمت سنين مستطيلة ، فهذه النعمة تبقى غير متغيرة حتى تأتى ساعتك الأخيرة ، باسم الآب والابن والروح القدس ، ؟ ؟ ! .

ولا تعليق لناطق على هذا الهذيان إلا فى العبارتين الآتيتين :

* إن مبتدعى صكوك الغفران كانوا ضالين مضللين ودجالين ؟

* وإن طالبى تلك الصكوك كانوا فى جهالة عمياء ، وما أبعد هؤلاء وهؤلاء عن السيد المسيح وتعاليمه . ؟ !

أسرار الكنيسة :

والأسرار الكنسية التى ابتدعها رجال الكنيسه لاتقل شناعة عما تقدم من تصورات وخرافات . ومن تلك الأسرار :

* جعل الثلاثة واحداً :

قلنا فيما تقدم أن الكنيسة ذهبت إلى تأليه المسيح وتأليه الروح القدس بالاضافة إلى تأليه الآب « الله » وبذلك كان يجب عليهم أن يؤمنوا بثلاثة آلهة لا بإله واحد . ولما كان التعدد فى الآلهة مظهرا من مظاهر الإشراك ملازما لعقيدة الكنيسة فإن الكنيسة لجأت - لكى تدفع عن عقيدتها وصمة الإشراك - فقالت إن الثلاثة : الآب ، والابن والروح القدس ، إنما هم إله واحد ؟ ! فوقعت بهذا القول فى ورطة أشنع من ورطة الاشراك نفسها وخالفت النقل والعقل معاً . وكانت هذه البدعة ، من أقوى الأسباب التى دعت إلى التمرد على الكنيسة فى زمن لاحق كما سيأتى فى موضعه إن شاءالله .

خالفت النقل : لأنه لا يوجد نص مقدس لا فى كتبهم المقدسة ولا فى غيرها ينص على هذه العقيدة الغريبة حقا ؟ ! .

وخالفت العقل ، لأن العقل لا يتصور قط أن ثلاثة أشياء لكل منها وجوده المستقل فى الخارج والمنفصل عن غيره ، لا يقبل العقل ولا يتصور أن تكون هذه الأشياء الثلاثة شيئا واحدا كما تدعى الكنيسة . وحين ووجهت الكنيسة بأن العقل لا يتصور ما دعت إليه كان ردهم لا يقل

شناعة عن عقيدتها نفسها . قالت الكنيسة لمعارضيها وناقديها : إن هذا سر من الأسرار المقدسة وليس للعقل سلطان على حقائق الإيمان ؟ !

وظنت الكنيسة أنها انتصرت وهي وحدها التي هزمت في هذا المجال وما تزال تردد هذه الإجابة البلهاء كلما ووجهت بنقد أو اعتراض أو حتى بمجرد استفهام بريء .

وهذا الاعتراض العقلي لم ينشأ في « عصر التنوير » الذي حدث في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي في أوروبا - وإن راج فيه واستفحل - وإنما وجد منذ بداية القرن الرابع الميلادي ووجه به قسطنطين امبراطور روما فكان يقول كما قالت الكنيسة إنه سر من الأسرار .

تشابه السؤال ، واتحدت الإجابة في كل العصور وإن اختلف منشأ السؤال في العصور اللاحقة لعصر قسطنطين منذ القرن الرابع الميلادي وبالرغم من هـــذا كله فقد ظلت المشكلة قائمة إلى الآن ولم تفلح الكنيسة في حلها :

فالكنيسة تقول : إن : ١ + ١ + ١ = ١ ؟ !!

والعلم والعقل يقولان : إن : ١ + ١ + ١ = ٣

فكيف تلتقي الإجابتان يا ترى انهما تلتقيان باحدى صورتين لا ثالث لهما :

فإما أن تتنازل الكنيسة عن جهلها وتخريفها وتسلم بالحقائق العقلية والبداهة الرياضية فتحل المشكلة ؟ !

وإما أن يكفر العقلاء بعقولهم، ويهدروا حقائق العلم ويقعون في مغالطات الكنيسة وتعسفاتها فتحل المشكلة .

إنهما فرضان بعيدا المنال ، وغايتان لا أمل في إدراك أي منهما ؟ !

* الاعتراف :

قلنا فيما سبق أن الكنيسة منحت نفسها فى مجمع لاتيران عام ١٢١٥ م ثلاثة حقوق منها حق « الغفران » ومحو الخطايا . وذكرنا صورة من صكوك الغفران التى كانت الكنيسة تبيع فيها الجنة بالمزاد العلنى وترتب على منح نفسها حق الغفران مبدأ الاعتراف أمام القسس ورجال الدين . فمن أذنب ذنبا أو ذنوبا وأراد أن يطهر نفسه منها فلا مناص له من الجلوس أمام الكاهن والاعتراف له بما ارتكب من جرائم وآثام . وجعلت الكنيسة هـذا الاعتراف مقدمة لمنح المعترف البراءة والتطهير مقابل مقدار من المال يقدمه المخطىء للكنيسة . فإذا كان طالب الغفران فقيرا فعليه أن يخدم الكنيسة أو يجند فى جيشها ليدافع عنها .

ولما كان الاعتراف موردا من موارد مالية الكنيسة فقد قررت أن يعترف الخطاة كل عام مرة بدلا من الاعتراف مرة واحدة فى العمر ؟ !

وبذلك وضعت الكنيسة نفسها موضع الوسيط بين الخطاة والخالق فالطريق إلى « الله » مسدود أمام عامة الناس ، ولا يملك أحد أن يفتحه إلا الكاهن ؟ !

وكانت هذه الوسيلة سببا بارزا فى ثراء الكنيسة ورجال الدين ويصور ديورانت هذا الثراء فيقول :

« وإذا كانت ممتلكات الكنيسة مما لا يجوز انتقاله إلى غيرها . . . فقد أخذت هذه الممتلكات تنمو على مر القرون لدرجة أن تملك كنيسة واحدة أو دير للرجال والنساء عدة آلاف من الضياع تشمل فيما تشمله إثنتى عشرة بلدة ، بل تشمل أحيانا مدينة كبرى أو مدينتين »(٣) .

ول ديورانت يتحدث ـ هنا ـ عن إملاك كنيسة واحدة أو دير واحد فكم ياترى كانت تبلغ أملاك الكنائس والأديرة كلها ؟ !

(٣) قصة الحضارة ـ بتصرف (مجلد ٤ ـ ص ٦٩) وما بعدها .

ويقول فى موضع آخر :

« وكذلك جاءت إلى البابوات أموال طائلة ممن ينالون صكوك الغفران البابوية . . . وقد حسب دخل الكرسى البابوى عام ١٢٥٠ م فكان أكثر من دخل رؤساء الدول الأوربية مجتمعين »(٤) .

وقد ترتب على منح صكوك الغفران فساد كبير . فإن الحاصلين عليها وقد ضمنت لهم الجنة تحللوا من الفضائل ولم يتورعوا عن ارتكاب أية جريمة أو رذيلة ، ولو كان ذلك كفرا بالله ، وشركا بالمسيح وقد دعاهم إلى ذلك قصور فى صياغة الصك . إذ جعلته الكنيسة براءة خالدة تمحو ما تقدم وما تأخر من الذنوب . ولو كانت الكنيسة قد قصرت أثره ـ الوهمى بالطبع ـ على ما مضى دونما يستقبل لكانت أسهمت فى تحقيق شىء من الإصلاح . ولكن الإصلاح لم يكن فى حسابها وإنما الذى كان فى حسابها هو جمع المال بأى ثمن لذلك أطلقت أثر الصك ولم يقيد بالماضى حتى لا تقلل من قيمته عند طالبيه وقد كان مبدأ أو حق الغفران والاعتراف وصمة فى جبين الكنيسة أخذت مكانها بوضوح إلى جانب كثير من الوصمات ؟ !

« الوصية عند الموت :

وكانت الكنيسة تدخل نفسها وريثا فى مال الموتى مع ورثتهم الشرعيين ، وتحتم على كل إنسان أن يكتب وصيته للكنيسة قبل موته ، ثم خامرها الشك فأرادت أن تنظم تحرير الوصايا على شكل يضمن لها نصيبها فى مال كل من يموت . فأصدر البابا إسكندر الثالث عام ١١٧٠ م قرارا يقضى بأن تكتب الوصايا فى حضرة قسيس ، وكل من يجرؤ على تحرير وصية من غير هذا الطريق يطرد من حظيرة الدين ، وتعتبر الوصية غير قانونية من وجهة نظر الكنيسة . . ؟ !

(٤) المصدر السابق (مجلد ٥ جزء ٤ ص ٧٢)

٥ العشور :

وبالإضافة إلى موارد صكوك الغفران والوصايا كبلت الكنيسة أتباعها بمورد مالى مرهق إلى أبعد الحدود . وهو تقديم عشور الأموال لها . وقد مل الناس هذا السلوك ، وبخاصة أن الكنيسة لم تكن تقدم للناس آية خدمات مقابل هذه الأموال كبناء المدارس وشق الطرق والمصحات ، بل كانت تنفق هذه الأموال على مطالبها الخاصة ولما شعرت الكنيسة بتذمر الناس من هذه الإجراءات التعسفية جعلت للقساوسة حق إصدار اللعنات على كل من يتأخر فى دفع عشور أمواله أو يقدم بيانات غير حقيقية عن إيراداته وممتلكاته ؟!

٥ العشاء الربانى :

من البدع التى أخذتها الكنيسة عن مسيحية بولس البدعة المسماة بالعشاء الربانى الذى يتناوله المسيحيون فى « عيد الفصح » وهو يتكون من خبز وخمر . وكان عند المسيحيين الأوائل عادة رمزية الخبز فيها خبز ، والخمر خمر ولكن الكنيسة فى وقت لاحق أدعت أن الخبز فى العشاء الربانى يتحول إلى جسد المسيح ولحمه ، وأن الخمر يتحول إلى دم المسيح فعلا ، ويزعمون أن من تناول العشاء الربانى فقد أكل لحم المسيح فعلا وشرب دمه فعلا ، وأن ذات المسيح اختلطت بذوات آكليه وفى هذا نجاة من العذاب وبركة ؟!

وقد أكثر بولس من ذكر هذا فى رسائله ، وعلى رغم أن إنجيلى متى ويوحنا أشارا إلى أصل هذا العشاء(٥) فإن كلام بولس فيه يعتبر هو الأصل لأن رسائل بولس سبقت كتابة الأناجيل الأربعة : متى ويوحنا ولوقا

---

(٥) انظر إنجيل متى (٢٦ : ٢٧ — ٢٨) وإنجيل يوحنا : (٣٦ : ٥٤ — ٥٧) .

ومرقس . وأول هذه الأناجيل كتابة لم يكتب قبل عام ٣٧ م ويقال إن الذى كتبه هو بولس لا متى .

ومشكلة المشكلات فى العشاء الربانى أو القربان المقدس كما يقال أحيانا هى : كيف يتحول الخبز والخمر إلى لحم ودم المسيح حقيقة ؟

الكنيسة تصر على هذا ، ولو أنها قالت أن ذلك التحويل مجازى تقديرى لا حقيقى واقعى لما اختلف معها فى هذا ، ولكن إصرارها على هذا الموقف هو مشكلة المشكلات فعلا .

ولكن الكنيسة لم تعدم حيلة توارى وراءها ماء الوجه . تلك الحيلة ماثلة فى هذا الجواب :

« إن هذا سر من أسرار الإيمان ولا مجال للعقل فيه ؟ !

وقد ثار على هذا الإدعاء الكاذب كثير من ذوى العقول من المفكرين وفلاسفة ، الغرب مثل فولتير وويكلف ولوثر وكلفن وغيرهم .

٥ الرهبانية :

ومن معتقدات الكنيسة الموروثة عن بولس كراهية التزوج بالنساء وتفضيل حياة العزوبة . والسبب فى ذلك أن الكنيسة تنظر إلى المرأة نظرة ازدراء ، لأنها — فى نظرها — كانت السبب — وليس الشيطان — فى إخراج آدم من الجنة ، وتتأكد حياة العزوبة لرجال الإكليروس — رجال الدين — ومن دواعى العزوبة عندهم إمكان التفرغ لعبادة الله — لأن الذى يتزوج وينجب يمنح ولاءه لزوجه ولأولاده من دون الله ؟ ! وكمال التعبد عندهم فى حياة العزوبة

وهذا المبدأ مأخوذ من كلام بولس الذى يقول فيه « أقول لغير المتزوجين والأرامل أنه خير لهم أن يبقوا مثلى[٦] ولكن إذا لم يستطيعوا أن يضبطوا

(٦) قضى بولس حياته كلها أعزب لم يتزوج . وهذا معنى قوله هنا « أن يبقوا مثلى » .

أنفسهم فليتزوجوا ، لأن الزواج أصلح . وأما المتزوجون فأوصيهم بأن لا تفارق المرأة زوجها . وإن فارقته فلتبق بغير زواج ، أو لتصالح زوجها ولا يترك الرجل امرأته » .

بولس هنا يبدو معتدلا بعض الاعتدال ، أما الكنيسة . فقد تشددت بالنسبة . لبعض الطوائف حين منعتهم من الزواج منعا باتا .

مساوىء هذا السلوك :

وكان لهذا السلوك مساوىء قبيحة . كل القبح ، فهى تحرم الإنسان من حق غرزى مكفول له ، وضد الفطرة التى فطر الله عليها خلقه وهيأ لهم سبل التمتع بها .

والواقع ـ كما يحدثنا التاريخ أن الذين استجابوا ـ فى الظاهر ـ لهذا المبدأ الكنسى . لجأوا فى السر إلى إرواء طبائعهم وإشباع رغباتهم الجنسية من الطرق المحرمة بعد أن أوصدت أمامهم الكنيسة أبواب الحلال .

بل إن كثيرا منهم كان يمارس الحرام داخل الكنيسة نفسها إذ لا فرصة أمامه إلا هى . وما أكثر العقوبات التى أوقعت على هؤلاء المظلومين الظالمين. وما أكثر من أفلت من العقاب لاحتياطه الشديد عند الممارسة .

فهذا ول ديورانت يقول : « إن سجلات الأديرة تحوى فيما تحوى عشرين مجلدا من المحاكمات بسبب الاتصال الجنسى بين الرهبان والراهبات »(٧)

ويقول رئيس دير كلونى : « أن بعض رجال الدين فى الأديرة وفى خارجها يستهترون بابن العذراء استهتارا يستبيحون معه ارتكاب الفحشاء فى ساحاته نفسها . بل فى تلك البيوت التى أنشأها المؤمنون لتكون ملاذا للعفة والطهارة لقد فاضت تلك البيوت بالدعارة حتى أصبحت مريم العذراء لا تجد مكانا تضع فيه الطفل عيسى » ؟ !

(٧) قصة الحضارة (مجلد : ٦ جزء ٤ ص ٨٦) .

(٨) قصة الحضارة (مجلد : ٥ ـ ١٤٥) وما بعدها .